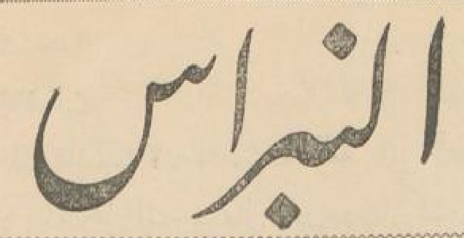


١٦ ذي الحجة سنة ١٣٢٨

ايها الانسان

لست ذلك الكائن الحي النامي ، ولا هذه الهيأة وتلك التقاطيع ، بل انت ذلك الجوهر السامي المجرد عن المادة ، الهابط عَلَى هذا الهيكل من المحل الارفع ، والمكان الامنع ، ولولاه لما كان لهذه الهيأة ما لها من التميز عن الموجودات كافة فانت في الحقيقة ابن السماء لا ابن الارض ، واصلك من العلاء لا من الحضيض · وما وجودك عَلَى سطح هذه الكرة الا وجود ضيف عن قريب يرحل ويرجع الى الارض التي فيها نشأ ومن تربها نبت ، فما بالك قد ادَّعيت التملك ، وزعمت انك كل شيء وانت لاشيء ، لانك تحرجك البعوضة ويقلقك الوهم ، ويحرمك المنام البرغوث !!

اهكذا يكون شأن من يخال انه عَلَى كل شيء قدير ؟؟ ان هذا لامر نكير !!

الست انت الذي تأكل وتشرب ، وتمرح وتلعب ، وان هاجتك الغلمة هدرت دم شرفك دون تسكينها ؟؟

الست الذي ان اصابك زكام ، قلت غداً اشرب كأس الحِمام ؟؟

الست الذي ان اصابتك مصيبة ناديت بالويل والثبور وعظائم الامور ؟؟

الست الذي ان لم يجد ما يأكل او يشرب خارت قواه وانحلّت عزائمه ، وعلم انه ضعيف حقير ؟؟

الست الذي ان اصبح فقيراً معدماً ذهب ما كان له من المقام الرفيع ، وبلي ثوب كبريائه وعظمته ، فالتجأ الى من كانوا يلتجئون اليه ، وطلب منهم الاحسان اليه كما كانوا منه يطلبون ؟؟

اذن فليس لك من الامر شيء ، وما انت الا كائن ضعيف فان ، وكل ما في يدك عارة مستردَّة ، فاياك ان تتصرف بها او تدَّعي تملكها ، فما هي الا وديعة لديك فاحسن القيام عَلَى ما استودعت واحفظ كرامة المودع ، والا انتزعها منك قسراً وتركك حائراً بائراً لا تلوي عَلَى

شيء، ولا يعطف عليك احد

إيهِ ايها الانسان

ما هذه الكبرياء التي تلبسها ؟ وما تلك العظمة التي تتقمصها ؟ .... عَلَى من تتكبر وعَلَى مَ تتعاظم ؟ .... ألأجل انك رب مال وفير، وعقار كثير، وخدمة واثاث، وقصور ذات رياش ؟؟

انظر الى من عليهم تتكبر، وفيهم تحتكم، هل هم الا اناسيُّ مثلك يأكلون كما تأكل و يمشون كما تمشي، ولهم جسوم مثل جسمك، وارواح مثل روحك، ور بما فضلوك بعقولهم، و بزُّوك بآدابهم، وعلوك باخلاقهم، وطاولوك بشهامتهم، وطالوك بكبر نفوسهم وصفاء سريرتهم وطهارة سيرتهم، وفاقوك بحسن خَبَرهم وطيّب خُبرهم، ولمثل ذلك فليعمل العاملون، و بمثله فليفتخر المفتخرون :

وما المال الا عارة مستردة فهلا بفضلي كاثروني ومحتدي [1]

ما يضرهم ان لو كانوا ذوي ثياب رثَّة ومال قليل اذا زانت نفوسهم حلَى الفضائل، وكملتها نبالة الشمائل :

عليَّ ثياب لو تباع جميعها بفلس لكان الفلس منهن اكثرا [2]
وفيهن نفس لو تقاس بقدرها نفوس الورى كانت اجلَّ واكبرا
وما ضر نصلَ السيف إخلاق غمده اذا كان عضباً حيث وجهته برى

المرء ياهذا « مخبوء تحت طي لسانه لا تحت طيلسانه » وهو قيد اعماله لا قيد امواله، فمن كرمت نفسه كرم عمله، ومن سفلت نفسه سفل عمله، وكل امرء بما كسب رهين

ماذا يفيدك ان لو حييت حياة الملوك وانت غير مالك نفسك، بل ماذا تنتفع امتك من وجودك اذا كنت لا تحسن اليها، اتظن ان اموالك تزينك، وان ملبسك يعليك، وحسن هيأتك تسميك؟، انك اذاً لمن المخطئين

اتزعم ان الفقير ذا الخلق العظيم اقل منك مقاماً وادنى منزلة، انك اذن لمن الظالمين

قيمة المرء ما يحسن، فاياك ان ترجو المنزلة السامية في الدنيا والمقام المحمود في الآخرة اذا لم تخدم قومك وتسعَ في انجاح وطنك، فانك ان سعيت وخدمت تنبه بعد الخمول، وتحمد بعد الذم . والله يجزي المحسنين، وقد قال احد الفزار بين :

إلاَّ يكن عظمي طويلاً فانني له بالخصال الصالحات وَصولُ

(١) البيت للطغرائي صاحب لامية العجم (٢) الابيات للامام الشافعي رضي الله عنه

ولا خيرَ في حسن الجسوم ونُبْلها   اذا لم تزنْ حسنَ الجسوم عقول
اذا كنتُ في القوم الطوال علَوتهم   بعارفة حتى يقال طويل
ولم أرَ كالمعروف اما مذاقه   فحلو واما وجهه فجميل

ايها الانسان !

انك خُلقتَ لامرٍ لو علمت خفيّه ..... خُلقتَ لما هو اسمى مما يخطر ببالك ، واعلى مما تتصور ، فانزع عنك ثوب الرياء واخلع رداء العجب واحتقار من هو دونك في امر المعاش ، ولا تكن من الذين يستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير فتهبط مصراً غير مصرك فان فيها ماسألت من النعيم الظاهر واللذة الحاضرة ، غير انك تندم بعد ذلك حيث لا ينفعك الندم ولا تغنيك ليت ولعل .

خُلقت لعمارة الارض وحسن السير في مناكبها . خُلقت لتكون خليفة الله فيها ، اهكذا تكون عمارتها ؟ وهل بهذه الاعمال الشائنة تتولى خلافتها ؟ مابهذا أُمرنا ، ولا لمثل ذلك خلقنا !

خليفة الامة الذى يحسن سياستها ، و يدبر اعمالها ، و يدير دولاب حياتها الاجتماعية والعمرانية . وعامر الارض يسعى لرفاهة سكانها وخادميها و يهيء لهم الاسباب التى تدعوهم لعمارتها ، و يقدم لهم كل ما يحتاجون اليه لاصلاح تلك الارض .... فهل انت ايها الانسان يامن خلقت لعمارة الارض ! يامن وجدت لتكون خليفة الله فيها ! تعمل بمقتضى سنة الله في الاكوان لتصح خلافتك عليها ، وتكون عامراً لها ؟؟؟

اهلها جُوّع وقاطنوها جهلاء فهم يأكلون بجهلهم لحوم اخوانهم ، و يخربون بسوء عملهم ما امر الله بعمارته ، وانت قادر على تعليمهم واطعامهم وتدبير امورهم والنظر في اصلاح شؤونهم

فاتق الله في الوديعة التي استودعك اياها ، فقد ادعيت انها مُلكٌ لك فتصرفت فيها علَى ما يرضي هواك لا علَى ما يريد المودع

انما جعلك غنياً لتنظر في حالة الفقراء والمساكين فتدرأ عنهم عوادي الزمان ، وتدفع طوارىء الحدثان ، فاستأثرت بالامانة وصرت من اهل الخيانة ، ولسوف تندم ولات ساعة مندم

ثم انك لم تكتف بما فعلت بل طفقت تنكر عليهم حقهم وتعبث بمرافقهم وتحتقرهم كأنهم الانعام بل اضل سبيلا ، فكأنك لم تنظر الى قول الله الكريم : « وفي اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم »

ايها الانسان !

استيقظ من غفلتك ، فان الزمان قد استدار ، ورب هذا الفلك المدار ، فأدّ الحق الواجب ،

فانه عليك ضربة لازب ، وانهض من سباتك ، واصلح مافات من غلطاتك ، وتدارك هفواتك ، والا فارتقب جزاء سيآتك ، وويلات غفلاتك ، يوم يطالبك شركاؤك بما اكلت من حقهم اللازم ، فينأى عنك اولياؤك ، فلا تستطيع تأدية المغارم . ثم يأتيك يوم هو اشد الايام هولاً واثقلها وطأة ، هو يوم يُنتصر فيه للمظلوم من الظالم ، وللضعيف من الغاشم . ذاك يوم تدور فيه رحى الشقاء ، عَلَى اهل الجور ، ويهيم فيه البخلاء ، في كل نجد وغور ، فلا يجدون مكاناً يعصمهم من البلاء ، ولكل قوم دور .

ايها الانسان !

تنبه اني لك من الناصحين ، واحذر ان تخالف عن امري فتكون من الخاسرين

« اعمل لدنياك كأنك تعيش ابدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » فالانسان اخو الانسان و« ان اكرمكم عند الله اتقاكم » و« ليس لاحدٍ فضل عَلَى احد الا بدين او عمل صالح » و« ان اقربكم مني مجالس يوم القيامة احاسنكم اخلاقاً الموطؤون اكنافاً الذين يألفون ويؤلفون » و« ان اخسر الناس صفقة من اخلق يديه في آماله ولم تساعده الايام عَلَى أُمنيته فخرج من الدنيا بغير زاد وقدم عَلَى الله بغير حجة » و« قد بريء من الشح من ادّى الزكاة وقرى الضيف واعطى في النائبة » و« لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه » و« الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى عَلَى الله الاماني » و « في كل ذات كبد حرّى ، اجر » و« العفو لا يزيد العبد الاعزاً والتواضع لا يزيده الا رفعة وما نقصَ مال من صدقة » و « اليوم الرهان وغداً السباق والغاية الجنة والهالك من دخل النار » و « يحُشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة امثال الذر يطؤهم الناس »

فانزع عنك ايها الانسان ثوب الغرور واخلع معاطف الزهو والخيلاء وانظر الى اخيك في الانسانية ، وأعنْهُ بما تستطيع ، وخفّف ويلاته ، وقلّل من نكباته ، فماذا تفيدك كبرياؤك ؟ وما تغني عنك خُيلاؤك ؟ :

فاتق الله ياقوي وخفض ان ملكتَ الورى من الغُلَواء
انما النـاس ياقوي سواء كل خلق من طينها والمـاء
لا تدعْ شوكة التكبرْ تنمو لجميع الانام من حواء
ان تفاخر بالاصل فالطين والما او ببطش فهاك اسد الشراء
خفف الوطء فالبرايا عيال الله — فارحم يرحمْك من في السماء
وانتزع عنك مطرف الزهو واخلع قبعاتِ الاعجـاب والكبرياء

الحقيقة والناس والدين

وهي احدى القصائد الشرقيات التي نظمها في الدور البائد منشيء هذه المجلة

تشكو بقلبٍ ملؤُه الكمدُ ارزاؤُهُ لا تأتلي تردُ
فنيَ التصبر قبلما فنيت ووهى لهول مصابها الجلدُ
صُبَّت على احشائها نُوَبٌ تضوى بها الأفيال والأُسدُ
وقوارع لو أنها نزلت بالطود دُكَّ الطود والبلدُ
وعظائم تعنو لشدتها — الاحرار فهي لعبدها عبدُ
وحوادث شبَّت باضلعها لا يستطيع دنوَّها احدُ
فكأنها لسهامها غرضٌ وكأنها لمرامها صمدُ
ضاقت بها الدنيا بما رحبت فكأنها من ضيقها مهدُ
فاستطلعت نحو السما ورنت تقول هل من سلَّمٍ اجدُ
علّي من الدنيا وزمرتها انجو وألحق بالأُلى سعدوا

. . . . . .

دنيايَ هذي كلها محنٌ يعيى عن استيفائها العددُ
ويجور منها الطود في عظم ويهون منها السيد السندُ
فكأننا اسرى بمعطنها في الهون وهي لروحنا صفدُ
ابناؤُها في غيهم كرعوا وعلى النفاق وفسقهم مردوا
دنياهمُ هذي وزخرفها صابٌ تراه انه شَهَدُ
قوم اذا ما كنت حاضرهم قالوا فلان للعلى عمد
شهمٌ اديبٌ عالمٌ فطنٌ في كل نادٍ طائر غرد
انعم بهِ للمكرمات ابًا بالفضل بين الناس منفرد
فله بكل فضيلة اثر وله على كل الانام يد
ان نابنا بؤس فليس لنا الاه يوم البؤس معتمد
لكن متى زايلتَ ناديهم فالسيئات يشيعها الرصد
والطعن فيك يرود متسعًا ويجيش فيهم قدرَه الحسد

. . . .

ان كنت في الدين الصحيح كما — الاعلام قالوا كافر جحد
يسعى لهدم الدين لانعمت   عيناه بل لاعانه عضد
فعليكم ياقومنا بفتى   عن شرعة الرحمن يبتعد
هلا نصرتم دين ربكم   اين الحفاظ وتلكم العدد
كلا وربي ليس عندهم   في قلبهم من دينهم ثمد
او كنت ذا نفس ابت ضعة   لاتبتغي الا العلى ترد
قالوا فلان خلقه شرس   قدحل في يافوخه الصيد
هل كان في آبائه رجل   مثر عظيم سيد جعد
فمتى يخفض من تدلفه   ومتى عن الغلواء يتئد
حسبوا الفخار بدرهم واب   ما الفخر الا العلم والجهد
حسبوا الفخار بقبلة ليد   فتنمرت من اجلها النقد
حسبوا الفخار عمامة عظمت   او جبة يكسى بها الجسد
حسبوا الفخار بحانة زهيت   فهم بدار الشر قد حشدوا
او خمرة قد زانها حبب   كالنجم في افق السما تقد
نور ولكن بعده ظلم   منها ذوو الإقدام ترتعد

....

ما الفخر الا انفس طهرت   عنها تناءى الفحش والفند
لبست دثار العلم وادرعت   بالدين فهو لجدها عمد
فالدين لولاه لما انقطعت   عن عقل هذا العالم العقد
ولما استقام لامرهم عوج   ولما أقيم لميلهم أود
ولأنجدوا يعلوهم غطش   ولأتهموا يجفوهم الرشد

....

ماالدين الا نفحة عبقت   منها استفاد عبيره الرند
ماالدين الا السعي مجتهداً   في الخير لايثنيك مضطهد
ماالدين الا القلب ليس به   غش ولا حقد ولا حسد
حلت به التقوى وجانبه   إضرار خلق الله والصيد
ماالدين دين الله يحطمه   قوم على العصيان قد مردوا

قوم لباس الدين قد لبسوا لكنهم لهواهم عُبُدُ
وعَلَى متون الجهل قد ركبوا والى ادّراع العجب قد عمدوا
ولوّوا كتاب الله اظهرهم وصغوا لقول ماله عضد
خلطوا بدين الههم بدعاً ثم ادّعوها انها الوتدُ
ضاقت بها رحباته ودجت ارجاؤه فتوعّر السدد
فالدين دين الله لاحرج فيه ولا عسر ولا غُدَد
فاُطلبه دينا ناصعاً يَقِقاً لاخلطَ يعروه ولا زبد
واطرح خرافاتٍ به لصقت من صنع قوم للهوى عبدوا
والجأ اليهِ فهو معتصمٌ وهو المسالك للهدى الجدد
واعمل بهِ تجنبْك داعية — الاهواء فهو عَلَى الهوى رصد
وبه السعادة منهل غدق دنيا واخرى للذي يرد

خديجة أم المؤمنين (*

اصبحت الكتابة في شرقنا سلعة من السلع التي تمارس طلباً للربح وحباً في التجارة لا رغبة في الافادة وايثاراً للمصلحة فقلّ بسبب ذلك الكتاب المجيدون اهل الفكر والتفكير وبقلتهم ندر اصدار الكتب التي هي نتاج القرائح و بنات البحث والفلسفة · ومن هؤلاء الكتاب القليلين السيد عبد الحميد الزهراوي ومن تلك الكتب القليلة قصة « خديجة ام المؤمنين »

كتب السيد الزهراوي هذه القصة فصولاً ونشرها متتالية في مجلة المنار الشهيرة ثم جمعت وطبعت في كتاب مستقل بلغت صفحاته ١٦١ بقطع هذه المجلة وليست هذه القصة كغيرها من القصص التي يقصد من تأليفها مجرد التفكيه والتسلية بل هي تاريخ دقيق لحال العرب قبل الاسلام و يدخل في ذلك بيان انسابهم واصولهم وفرقهم وما افادوا واستفادوا من اختلاطهم بالامم الاخرى مع الالمام بذكر حضارتهم وخصائص قريش وميزتها عَلَى بقية العرب و بيان اشكال حكوماتهم وحقوق النساء عندهم وحظهم من العلوم وشيوع التجارة فيهم الى غير ذلك من الموضوعات التي لم تدع شانا من شؤون العرب الخُلُقية

* » لم نتمكن من مطالعة هذه القصة الجليلة فرغبنا الى صديقنا السيد حسين وصفي رضا ان يكتب عنها باختصار لضيق المقام

والمعاشية الا بحثت فيه فكانت بذلك تاريخاً مختصراً مفيداً لحال العرب قبل الاسلام

و يلي ذلك بيان استعداد العرب لبعثة نبي فيهم يتلو عليهم آياته و يعلمهم الكتاب والحكمة وحاجة البشر الى رسول ينتاشهم من ظلمات الهمجية و يشرع لافكارهم سبل العلم والاستقلال و يدلهم عَلَى طريق السعادة الدنيوية والاخروية وذلك بتكميل نفوسهم وغرس حب الخير فيها وابعادها عن اقتراف المنكرات واجتراح السيآت

نعم لقد ابان السيد الزهرواي بما شرحه عن اهل تلك الفترة من تسكعهم في دياجير الاباطيل والخرافات وتمرطلهم في حياض ذميم العادات — حاجة البشر الى نبي يرشد الضال و يهدي الجاهل و ينبه الغافل ويهذب النفوس و يكمل العقول واجاد في ذلك ايما اجادة بما دل عَلَي ان السيد الزهراوي احد اعلام فلسفة التأريخ الذين لا يقفون عَلَى الحوادث العظام عند حد الرواية بل يوغلون في الاستقراء والبحث والاستنتاج حتى يهتدوا الى لب الحقيقة و يزفوها الى روّادها وطلابها

وما ننس من التنبيه عَلَى محاسن هذه القصة لا ننس الفصل المعنون بالعمل الروحي « ص ١٠٨ » الذي دلّ عَلَي علوّ كعب الاستاذ المؤلف في فلسفة النفس Psychologie وهو الفصل الذي اثبت فيه امكان وقوع الوحي اثباتاً فلسفيا لم يسبق اليه وابان بالدلائل العقلية القاطعة صدق الرسالة (ص ١٣٠) واستدل عَلَي ذلك ايضاً بالآثار التأريخية والنصوص الصريحة في الكتب الدينية « ص ١٣٨ — ١٤٢ »

و يتخلل هذه الفصول بيان مكارم السيدة خديجة التي سميت القصة باسمها وما كانت عليه رضوان الله عليها من الاخلاق العالية والفضائل النفسية والحب الطاهر والعواطف الشريفة وما لها من الفضل في تأمين الدعوة ونشرها بعد ايمانها بالرسالة ايمانا صحيحاً بعد اكتناهها لحقيقة الدين وفهمه عَلَى وجهه ومن ذلك قولها المأثور فيه وقد شرحه المؤلف شرحاً جميلا « ص ١٣٢ »

فالقصة — كما يرى القراء من هذا البيان الموجز لها — كتاب تأريخ وفلسفة وحكمة وادب مفرغ في قالب قصصي يرغب في القراءة و يدني منال الاستفادة فنشكر الاستاذ المؤلف على هذه التحفة الثمينة ونرجو ان يتابع الكتابة في تأريخ الاسلام عَلَى هذا النمط الفلسفي الممحص فان الامة في اشد الحاجة الى هذا ونرغب الى القراء وكل ناطق بالضاد ان يقبلوا عَلَي قراءة هذه القصة المفيدة وهي تباع بمكتبة المنار بمصر و بالمكتبة الاهلية ببيروت

حسين وصفي رضا

القران الكريم والخلق العظيم

او الاسلام محجوب بالمسلمين

بقلم كاهن ارثوذكي فاضل (١)

نور الله ضرائح ضمت اليهارفات كبار المصلحين الذين قُبضوا وبودهم لو طالت مدة جهادهم عَلَى الارض لاحرصاً عَلى حياة ساورهم فيها الغم واجهدهم فيها النصب ، ولكن حبًّا بامة ساقها نكد الطالع الى مهاوي الشقاء وهي غير شاعرة ، فهموا بانتشالها من تلك الوهدة ، وهيأوا لها كل ما وهبهم الله من بصيرة نيرة ، ولكنهم ما كادوا يلفتونها الى الطريق المثلى حتى دعاهم رسول المنية فلبوا الداعي وفي نفوسهم الكبيرة آمال كثيرة حال دونها الاجل ، ولو صح مذهب التناسخ لتقمصت تلك النفوس العظيمة اجساداً أُخر وقامت تكمل ما شرعت فيه من جليل الاعمال ونافع الاقوال . ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه ، وليت لا تدفع مقدوراً ولا تجبر مكسوراً

.....

نبغ علامة القطر المصري الاستاذ محمد عبده (رح) في القرن الثالث عشر ورأى الامة في الشرق راسفة بضوابط التقليد ، لاهيةً به عن الاجتهاد ، تصارعها الاعداء من كل حدب وصوب ، ولا قبل لها بمقارعتها لان استحكاماتها تهدمت لتقادم عهدها وسيفها نبا لكثرة صداءه فشمر عن ساعد الجد وخاض غمرات تلك المعامع الادبية ، ففاز بكثير منها ولم يكن ذلك بالامر السهل ، ولكنه أُوتي نوراً استرشد بهديه فادهش العالم المتمدن بحكمته وسداد رأيه . واصبح الشرقي في المركز الذي لا يجرأُ الغربي ان يدنو منه الا متحفظاً ولكنه عاد فنظر الى قومه فرآهم ينقضون بما يأتونه ما بناه لهم من صروح المجد وشوامخ السعد ، فقال بنفسه مرة وقلب

---

(١) اتتنا هذه الرسالة من كاتبها الفاضل الخوري «ع» وان كنا نعتقد ان فيها ما ينتقد عملا بقواعد الحرية ، ولاننا نعلم ان كاتبها رجل حر يسعى جهده وراء الالفة والاتحاد ولان فيها كثيراً من الحقائق التي ينبغي ان يطلع عليها المسلم وغير المسلم خصوصاً الذين ينتقدون الاسلام عن غير روية ولا معرفة . وقد وضحنا الكلام عَلَى معاملة الاسلام للاغيار في كتابنا «الاسلام روح المدنية» الذي رددنا به عَلَى لورد كرومر ، فان في الفصل الذي عقدناه لذلك ما يظهر حقيقة ما جاء به الدين الاسلامي في معاملة غير المسلم

حزين : « الاسلام محجوب بالمسلمين »

قبض ذلك العلامة وغاب شخصه عن الابصار ولكن قوله هذا مابرح يقرع الاسماع فيؤلمها وينخس القلوب فيدميها ، سيما وانه لم يزل ينطبق عَلَى الكثيرين من المسلمين الذين يحجبون بمآتيهم الشخصية انوار الحقيقية الاسلامية

يأتي المستشرقون الى بلادنا فيرون من اعمالنا مايسودون به صحيفة الاسلامية ويتخذونه وسيلة للتنديد بالامم الشرقية كافة . وليست تلك الاعمال من اصول الاسلام ولامن فروعه وانما هي اضاليل ماانزل الله بها من سلطان ، اختلقها قوم وتلقفها عنهم آخرون ، ووصموا بها الاسلامية ورب الاسلامية ورسولها بريئان مما يزعمون

قد كنا نظن ان هذه الصحيفة تطبق فى زمن الدستور ويطوى معها سجل تلك العبارات التى كان البعض من المتعصبين يؤلمون بها مجاوريهم كأنَّ ذلك مما يطلبه الدين مع انها لو كانت مما يجيزه الدين لوجب اغفالها تأدباً ومراعاة لحرمة الجوار ، ولكن ابي الله الا ان يؤكد صحة ماسبق نقاله الاستاذ ، فقام بعضهم يتبجح بكلمة كافر ومشرك ناعتاً بها مواطنيه المسيحيين ومثيراً بذلك ماكمن من احقاد ولدها الدور البائد ، مما اقام الجرائد الاروبية والاميركية واقعدها . فاخذوا يحبرون المقالات الطوال في تحقير الديانة الاسلامية والتنبؤ بانحلال عروة الامة الشرقية ، وهم في كل ذلك يخلطون بين الدين والمتدينين غير مميزين العقيدة عن المعتقد ، وبما ان كتابات مؤلمة كهذه وتصورات سخيفة كتلك تنكأ جراحاً لم تندمل بعد ، وتوغر صدوراً لم تكد تنقى من ادران الضغائن ، دعانا واجب الانسانية الى تبيين ماتدعو اليه الديانة الاسلامية من الاقوال الطيبة . والمعاملة الحسنة ليكف المتحاملون عليها عما يفترون ، ويرتدع بعض المنتمين اليها عما يأتونه من المنكرات قولا وفعلا حاجبين بها نور الديانة الساطع لتربأ الطوائف الشرقية بنفسها عن طريق التخاذل وتتخذ الاتحاد هادياً نحو ذرى المجد . ومانقتبسه انما نقدمه تبصرة لمتحامل عَلَى الدين ولمسلم يشين بقوله او عمله المبدأ الذى يتمسك به . ونقسم هذه المقتبسات الى ثلاثة اقسام :

أ) **ليس الكتابي كافراً**

اعتادت كل طائفة في الشرق ان تنعت ماسواها ممن يخالفها في العقيدة بكلمة الكفر قصد التحقير ونتج من ذلك وقوع التنافر بين العناصر الشرقية وادَّى الى التخاذل والتقهقر اللذين لاتزال مرارتها العلقمية تحت السنتنا الى الآن ، فصحنا بحاجة ماسة الى إقصاء كل كلمة تمس حاسة او تجرح عاطفة مما يطعن احشاء الالفة التي ابتدأ بايجادها الدستور . ولما كان

العنصر الاسلامي اكبر العناصر واهمها في الشرق وعليه يتوقف رقي الامة او انحطاطها كان من الواجب توجيه الخطاب اليه اولاً ولنا كلمة اخرى نوجهها الى سائر الطوائف في فرصة ثانية ان اذن الله

قلنا انه لايجوز للمسلم ان يسمى الكتابي كافراً لان الكتابي (سواء كان يهوديا اونصرانياً) يؤمن بالله واليوم الآخر ، وذلك مناف للكفر الذي يدل لغة عَلَى الجحود وعدم الايمان مطلقاً واغلب ماورد منه في القرآن الكريم له نفس هذه الدلالة ٠ وان نسب احياناً الى بعض الذين أوتوا الكتاب فانما نسب اليهم لرفضهم كل ماجاء به صاحب الشريعه الاسلامية الغراء لا لأنهم كانوا متمسكين بالكتاب الذى يوجب عليهم الايمان بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر ٠ وبديهي أن من يؤمن بما ذكر لايجوز ان يسمى كافراً وان لم يشرح الله صدره الى الاسلام التام اذ الكفر مطلقاً : ضد الايمان عند كل كائفة [1]

وفي مفاتيح الغيب(٣ : ٤٢٦)الكافر هو الذي اتى حكم بضد حكم الله تعالى في كل ماانزل الله وفي المعاجم: الكافر القائل بنفي الخالق الذى لا ايمان له [2] اه وهذا صريح في الدلالة عَلَى ان الكافر هو غير الكتابي و بالتالي لايجوز للمسلم ان يسمى مواطنيه من اسرائيلين او مسيحيين كفاراً قصد ايذائهم ويؤيده من آي القرآن الكريم:

ا) ما جاء في سورة النساء(٤ : ٥٠)في حق بعض اليهود: «الم ترَ الى الذين أُوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلاً» قال العلامة ابو السعود العمادى في تفسيرها : روى ان حُيي بن اخطب وكعب بن الاشرف

(١) في تاج العروس : الكفر عَلَى اربعة انحاء ٠ كفر انكار — ان يكفر المرء بقلبه ولسانه ٠ وكفر جحود — ان يعترف بقلبه ولا يقرّ بلسانه ٠ وكفر معاندة — ان يعرف الله بقلبه ويقر بلسانه ويأبى ان يقبل ٠ وكفر نفاق — ان يقر بلسانه عَلَى غير اعتقاد ويكفر بقلبه ٠٠٠ وفي البصائر : الكفر: جحود الوحدانية او النبوة او الشريعة ، والكافر متعارف مطلقاً في من جحد الجميع اه ملخصاً بتصرف

(٢) وقيل ان الكافر اسم من لا ايمان له ٠ فان اظهر الايمان فهو منافق ٠ وان اظهر كفره بعد الايمان فهو المرتد ٠ وان قال بالشرك في الالوهية فهو مشرك ٠ وان تدين ببعض الاديان والكتب المنسوخة فهو الكتابي ٠ وان ذهب الى قدم الدهر واسناد الحوادث اليه فهو الدهري ٠ وان كان لا يثبت الباري فهو المعطل ٠ وان كان مع اعترافه بنبوة النبي يبطن عقائد هي كفر بالاتفاق فهو الزنديق اه المحيط ٠

اليهوديين خرجا الى مكة في سبعين راكباً من اليهود ليحالفوا قريشاً عَلَى محاربة رسول الله (صلعم) وينقضوا العهد الذى كان بينهم وبينه (صلعم) فقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت والطاغوت لانهم سجدوا للاصنام واطاعوا ابليس فيما فعلوا • وقال ابوسفيان لكعب : انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن اميون لانعلم فأينااهدى طريقاً نحن ام محمد؟ فقال ماذا يقول محمد؟ قال : يأمر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك، قال: وما دينكم قالوا: نحن ولاة البيت نسقي الحاج ونقري الضيف ونفك العاني وذكروا افعالهم فقال انتم اهدى سبيلاً" اه

فقوله : الذين أُوتوا نصيباً من الكتاب : يقولون للذين كفروا الخ مع ماذكر من اسباب النزول يدل صريحاً عَلَى ان الكتابيين هم غير الكفار

٢ً) ماجاء في سورة المائده (٥: ٨٠ و ٨١) بحق بعض الكتابيين اليهود : « ترى كثيراً منهم يتولَّون الذين كفروا لبئسما قدمت لهم انفسهم أنْ سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون • ولو كانو يؤمنون بالله والنبي وماأُنزل اليه ما اتخذوهم اولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون» اه

قال الرازي في تفسيرها (٣: ٤٥٠) المعنى لو كانوا (اي يهود ذلك الزمان) يؤمنون بالله والنبي وهو موسى وما انزل اليه في التوراة كما يدعون مااتخذوا المشركين اولياء لان تحريم ذلك متأكد فى التوراة وفي شرع موسى (عم) فلما فعلوا ذلك ظهر انه ليس مرادهم تقرير دين موسى (عم) بل مرادهم الرئاسة والجاه فيسعون في تحصيله باي طريق قدرواعليه فلهذا وصفهم الله تعالى بالفسق

وهذه الآية كالسابقة بالدلالة عَلَى الغيرية الموجودة بين الكتابيين والكفرة

٣ً) ماجاء في سورة التوبة (٩: ٦٨) : « وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله لهم عذاب مقيم »

دلَّت الآية عَلَى ان عذاب الكفار ابديٌّ في جهنم ثم قال عن الكتابيين في سورة البقرة (٢: ٦٢) : « ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصائبين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون »

وفي سورة المائدة « ٥ : ٦٩ » « ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون[1] والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون » وكلتاهما تنفيان الكفر

---

(١) الصابئون مرفوع بالابتدا (على راى الخليل وسيبويه) عَلَى نية التأخير وخبره محذوف • والتقدير ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى الخ والصابئون كذلك

عن الكتابيين لان جمهورهم يؤمنون بالله واليوم الآخر ولو كانوا كفاراً ماوعدهم بالاجر الذي ينفي عنهم خوف مشاهدة اهوال القيامة والحزن عَلَى مافات من طيبات الدنيا مع انه وعد الكفار نار جهنم خالدين فيها

٤ً) جاء في سورة المائدة (٥: ٥٧) «ياايها الذين آمنو لاتتخذ الذي اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أُوتوا الكتاب من قبلكم والكفارَ اولياء ، واتقوا الله ان كنتم مؤمنين»

وهذه الآية صريحة في أن الذين أُوتوا الكتاب هم غير الكفار لوجود العاطف بينهما والعطف يقتضي المغايرة كما لايخفى

٥ً) الممتحنة «١٠:٦٠ « ولا تمسكوا بِعصَم الكوافر » وبديهي ان نهيه عن التزوج بالكافرة مع تصريحه بجواز زواج الكتابية دليل واضح عَلَى ان الكتابيين غير الكفار

٦ً) قوله في سورة المدثر «٣١:٧٤ » « وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أُوتوا الكتاب و يزدادَ الذين آمنوا ايماناً ، **ولا** يرتاب الذين أُوتوا الكتاب والمؤمنون ، وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلاً »

دلت الآية عَلَى انه تعالى فتن الذين كفروا بتعيين عدد الملائكة لاربعة اسباب «١» لإِيقان الكتابيين «٢» ولتوطيد المؤمنين في الايمان «٣» ولازالة الريبة عن الكتابيين والمؤمنين «٤» ولاضطرار المنافقين والكفرة الى الجهر بكفرهم · وفي ذلك دلالة واضحة عَلَى ان الذين أُوتوا الكتاب ممتازون كل الامتياز عن الكافرين · وعليه فالمسلم الحقيقي لايفرط بلسانه ولا ينعت احد مجاوريه من اهل الكتاب بكلمة الكفر قصد تحقيره لان ذلك فضلاً عن انه مخالف لشروط الادب واللياقة العمومية فهو ايضاً مباين للحقيقة الدينية واللغوية

ومما يجدر بالذكر ان احد الولاة الاتحاديين حضر درساً دينياً في بعض المكاتب الراقية فسمع طالباً يتلو كلمة الكافرين فاستوقفه وسأله عما يفهم منها وعن المشار اليهم بها ، ولما لم يكن جواب الطالب كافياً افاض دولته في شرحها ، ثم قال للحضور : احذروا ان تفهموا منها اشارة الى احد عناصر الدولة العلية فانه ليس بين العثمانيين كافر ولله الحمد ، وانما الكافر من يجحد وجود الباريء عز وجل وليس لهذا المذهب صفة رسمية عندنا اه

فالى مثل هذا الرجل العظيم بذاته الغني بادراكاته تحتاج الامة الشرقية لِلَمّ شعثها وتوحيد كلمتها كثر الله من امثاله واجازه عَلَى اخلاصه

٢ً) ليس الكتابي مشركاً

الشرك لغة : ان يتخذ الانسان مع الله معبوداً آخر تقول اشرك فلان بالله اي جعل له شريكا في المعبودية وقد اختلف قدماء المتكلمين في جواز اطلاق هذا اللفظ عَلَى الكتابيين وعدمه ، فاوجبه بعضهم لتصورهم ان الكتابيين اشركوا باتخاذهم عزيراً وعيسى (عم) معبودين مع الله ، ونفاه آخرون لتصورهم ان تعظيم الكتابيين قدر عزير وعيسى « عم » بتسميتهم اياهما ابنين لله تشريفاً لهما كما سُمي ابراهيم خليل الله لا يستلزم شركهم . حجة اولئك ان القرآن الكريم كفرَّهم وعرَّض بشركهم في سورة التوبة اذ قال : « وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح بن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهئون به قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون . اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما أُمروا الا ليعبدوا الله آلهاً واحداً لا آله الا هو سبحانه وتعالى عما يشركون » اه

واجاب هؤلاء بانه تعالى انما بالغ في التشنيع عليهم ليلفتهم عن خطإهم ويؤيده انه لم يسم قولهم كفراً بل مضاهاة للكفر وبديهي ان المشبه غير المشبه به . ثم ان اولئك لم يعبدوا ائمتهم من دون الله ولكنهم لما اطاعوهم في اوامرهم ونواهيهم طاعة المربوب لربه نسب اليهم الشرك مجازاً كما نسب اليهم عبادة احبارهم ورهبانهم[1] واحتجوا لتأييد ما قالوه من ان الشرك بالله هو غير اثبات الولد له تعالى بآيات منها:

١ً) قوله في سورة الانعام « ٦ : ١٠١ »: «وجعلوا لله شركاء الجنَّ وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم » اذ ذكر لاولئك عملين ممتازين الاشراك بالله واختلاق بنين وبنات له تعالى

---

(١) يمكن تخصيص هذه الآية بفئتين مشركتين من اهل الكتاب كانتا في زمن محمد (صلعم) احداهما يهودية اتخذت احد احبارها عزيراً رباًّ ، والثانية نصرانية زعمت ان الآله هو الجسد المولود من مريم واليها اشار القرآن الكريم بقوله : لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم (المائدة) وقوله : لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة . اه قال العمادي : قيل انهم يقولون ان الالهيَّة مشتركة بين الله سبحانه وتعالى وبين عيسى ومريم وكل واحد من هؤلاء هو الله ويؤكده قوله تعالى للمسيح : أأنت قلت للناس الخ فقوله تعالى ثالث ثلاثة اي احد ثلاثة آلهة وهو المتبادر من ظاهر قوله تعالى «وما من آله الا آله واحد اه قلنا وبديهي ان هذه المقولات (التي اجتهد القرآن بردها) شرك ولكن لا اثر لها بين الكتابيين الآن.

٢) قوله في سورة الاسراء « ١٧ : ١١١ » « وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك » اذ ميز بين اتخاذ الولد والشرك

٣) قوله في سورة الاخلاص « ١١٢ : ٣ و ٤ » : « لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد » نفى عنه تعالى الوالدية والمولودية والمثلية مميزاً تمييزاً صريحاً بين نفي الاولاد عنه تعالى ونفي الاكفاء

والذي عليه جمهور المحققين هو ان المشركين هم غير مثبتي الولد له تعالى وتحت كلا الاسمين عدة طوائف

طوائف المشركين

١ً) عبدة الاصنام — يعبدونها مع الله وان اعتقدوا عجزها عن الخلق والايجاد واغلب الفاظ الشرك القرآنية واردة في الرد على العرب من هؤلاء

٢ً) عبدة الكواكب — يعبدونها مع الله وهم فرقتان احداهما تدعي انها واجبة الوجود لذاتها والثانية تدعي ان الله اوجدها وفوض اليها تدبير العالم السفلي ومن هؤلاء مناظرو ابرهيم الخليل (ثم) الانعام (٦ ـ ٧٦ — ٧ — ٨)

٣ً) عبدة النار — القائلون بان للعالم آلهين صالحاً يبعث للخلائق الخير والآخر شرير يبعث لهم الاضرار ومنهم المجوس والمشركون المذكورون في سورة الحج (٢٢ ـ ١٧ الرازي ٤ : ١١١ و ١١٤

طوائف مثبتي الولد لله تعالى

١ً) النصارى — قالوا: المسيح ابن الله

٢ً) بعض اليهود — قالوا: عزير ابن الله

٣ً) بعض العرب (بنو مليح) قالوا : الملائكة بنات الله

فمن هذا استدل نفاة الشرك عن الكتابيين بان اليهود والنصارى غير مشركين ثم هم يدعمون رأيهم هذا بآيات كتابية اليك بعضها :

١ً) قوله في سورة البقرة (٢ ـ ١٠٦) ما يودُّ الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان يُنزَّل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم » فيها تمييز صريح بين الكتابيين والمشركين ولو كانوا مشركين ما قال بعد ذكرهم ولا المشركين »

٢ً) قوله سورة البقرة (٢ ـ ١٣٧) « وقالوا كونوا هوداً او نصارى تهتدوا قل بل ملّةَ

ابرهيم حنيفاً وما كان من المشركين » وقوله في آل عمران (٣-٦٦) « ما كان ابرهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين (٣-٩٥) قل صدق الله فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفاً وما كان من المشركين » اه

فقد نفى في هذه الآيات عن ابرهيم اليهودية والنصرانية ثم برأه من الشرك رداً لادعاء المشركين من العرب أنهم عَلَى ملة ابرهيم ، وهذا صريح في ان اليهودية والنصرانية غير الشرك والاَّ لم يكن ثمة ما يدعوه لتنزيه الخليل عن الشرك بعد نفيه عنه الديانتين

قال الرازي (٢ : ٤٩٣) ان ابرهيم اتى بشرائع مخصوصة من حج البيت والختان وغيرها وكانت العرب تدين بهذه الاشياء ثم تشرك فمن اجل هذا قال حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين ، ونظيره قوله حنفاء الله اي غير مشركين وقوله : وما يؤمن اكثرهم بالله الاَّ وهم مشركون

٣ً) قوله في سورة آل عمران (٣ : ١٨٦) ولَتسمعُنَّ من الذين أُوتو الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا اذًى كثيراً »

في هذه الآية عطف الذين اشركوا على الذين أُوتو الكتاب.والمعطوف غير المعطوف عليه فاذاً الخ

٤ً) قوله في المائدة (٥ : ٨٢) : لتَجدنَّ اشد الناس عداوةً للذين آمنوا اليهودَ والذين اشركوا ولتجدَنَّ اقربهم مودة للذين آمنو الذين قالوا انا نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون»

فيها تمييز صريح بين اليهود والذين اشركوا والنصارى

٥ً) قوله في المائدة (٥١٥) : « اليوم أُحلَّ لكم الطيبات وطعامُ الذين أُوتوا الكتاب حلٌ لكم وطعامكم حلٌ لهم والمحصناتُ من الذين أُوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهنَّ اجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي اخدانٍ ، ومن يكفرْ بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين »

ولو كان الكتابيون مشركين ما اجاز مواكلتهم ومخاتنتهم اذ المشركون نجس كما في سورة التوبة (٩ : ٢٨) لا يواكلون ولا يصاهرون ولورود المنع الصريح عن ذلك في سورة البقرة (٢ : ٢٢٠): «ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنَّ»

٦ً) قوله في سورة النساء (٤ : ٤٨ و ١١٥) : « ان الله لا يغفر ان يُشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء » وفي سورة البقرة (٢ : ٢٦٢) والمائدة (٥ : ٦٩) يقول عن الكتابيين المؤمنين بالله

واليوم الآخر: «فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون» ولو كان كفر (رفض) الكتابيين شركاً مانفى عنهم الخوف والحزن

٧) قوله في سورة الحج (٢٢ : ١٧): «ان الذين آمنوا و الذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس و الذين اشركوا ، ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شيء شهيد» اه

وهذا نص صريح بتمييز الكتابيين عن المشركين .

ومما يحسن الانتباه اليه انه لما ذكر المجوس والمشركين بين طوائف ذلك العصر امتنع عن طمأنينتهم بخلاف ماذكر فى البقرة والمائدة اشارة الى فظاعة الشرك والوثنية

٨) جاء في سورة التوبة انه يجب مقاتلة الكتابي حتى يسلم او يدفع الجزية وذلك متى توفرت فيه اربع صفات (١) الكفر بالله (٢) واليوم الآخر (٣) والشرائع الآلهية (٤) والدين الحقيقي اذ يقول : « قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ماحرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون»

وهذا نص صريح في تمييز الكتابيين عن المشركين اذ الواجب في معاملة المشركين الاسلام او القتال اما في الكتابيين فالاسلام او الجزية او القتال

٩) قوله في سورة البينة (٩٨ : ١-٦) « لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة » «ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها »

وهذا يدل بصراحة على ان المشركين طائفة مستقلة وهم غير الكتابيين وعليه فمن سمى الكتابي مشركاً قصد ايذائه فهو مخطيء دينياً ومدنياً لمخالفته النصوص القرآنية والآداب العمومية

٣ يجب على المسلم محاسنة السوى

زعم بعضهم ان الدين الاسلامي انما جاء بالغلظة والشدة و يسندون مدعاهم الى ما قرأوه عن اضطرار المشترع الى مغالبة الاعداء على امرهم بالقوة ويستنتجون من ذلك ان ما يرونه من خشونة البعض من المسلمين انما هو نتيجة طبيعية للدين الاسلامي . ولو انصفوا لرأوا في اتباع كل دين ومذهب ما يرونه في بعض جهلة المسلمين فاذا جاز إلصاق ما يأتيه الافراد بالمبادىء سقط كل مبدء في العالم اذ لا تخلو قاعدة من شواذ ولا ورد من شوك فاضطرار المشترع اذاً لاذلال معارضيه في بعض ظروفه لا يستلزم مبدائية ذلك فيه فكثيراً ما تقضي الظروف باستعمال الشدة كما يلزم الرفق واللين احياناً واستعمال كل منهما في موضع الآخر مضر قال

بعضهم : الحلم عَلَى العاجز وعوراء الكرام محمود وعن المتغلب واللئيم مذموم فانه اغراء عَلَى البغي وانشد :

اذا انت اكرمت الكريم ملكته　　وان انت اكرمت اللئيم تمردا
فوضع الندى في موضع السيف بالعلا　　مضر كوضع السيف في موضع الندى

ولو ان ان المقام يحتمل الزيادة من الاسهاب لاوردنا ما نقله الينا التاريخ عن الصفات الطيبة والاخلاق الكريمة التي وجدت في السلف الصالح من المسلمين مما يجب ان يأتمّ به رجال اليوم ولكننا لما كنّا نعتبر المبدأ دون الشخص رأينا وجوب الاكتفاء بما جاء في القرآن الكريم (وهو اس الدين الاسلامي) من الحض عَلَى القول الكريم والعمل الطيب وفيه عبرة للموافق وردع للمخالف :

١ً — جاء في سورة البقرة (٢ : ٨٣)« وقولوا للناس حسْناً »

٢ً — جاء في آل عمران (٣:١٥٩)فبما رحمةٍ من الله لِنْتَ لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضّوا من حولك فاعفُ عنهم واستغفر لهم وشاورْهم في الامر »

٣ً — وفي الانعام (٦:١٠٩)ولا تسبُّوا الذين يدعون من دون الله فيسبُّوا الله عَدْواً بغير علم »

٤ً — وفي الاعراف (٧ : ١٩٩) «خذ العفو وأمر بالمعروف واعرض عن الجاهلين»

قال عكرمة: لما نزلت هذه الآية قال (عم): ياجبريل ماهذا به؟ قال : يامحمد ان ربك يقول: هو أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفوَ عمن ظلمك اه التفسير الكبير (٤:٣٤٧)

٥ً — وفي النحل (١٦:١٢٥):«ادعُ الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسنُ انّ ربك هو اعلمُ بمن ضلّ عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين »

٦ً — وفي الاسراء(١٧:٥٣): «وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن ان الشيطانَ يَنزغُ بينهم انّ الشيطان كان للانسان عدواً مبيناً»

٧ً — وفي المؤمنون(٢٣:٩٦): «ادفعْ بالتي هي احسنُ السيئةَ نحنُ اعلم بما يصفون »

٨ً — وفي الفرقان(٢٥: ٦٣)«وعبادُ الرحمنِ الذين يمشون عَلَى الارض هوناً واذا خاطبهم الجاهلون قالو اسلاماً » الى ان يقول : واذا مرّوا باللغو مرّوا كراماً »

٩ً — وفي القصص (٢٨ : ٥٤) اولئك يؤتَون اجرهم مرتين بماصبروا ويدرأون بالحسنة السيئةَ ومما رزقناهم ينفقون. واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام

عليكم لانبتغي الجاهلين »

١٠ — وفي العنكبوت (٢٩: ٤٦) « ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أُنزل الينا وأُنزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون »

١١ — وفي حم السجدة (٤١: ٣٤—٣٦) « ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم . واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم »

هذا قليل من كثير مما ورد في الكتاب العزيز حضاً على مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال وفيه كفاية لدرء الشبهات التي يجسمها الخالون من ادب الاسلام بذواتهم وبها يتمسك المخالفون واصمين الاسلام بما هو براء منه وانما يوصم بها اولئك الجانون باقوالهم واعمالهم على الدين

ورب معتسف يقول: ان كل مانقلته انما هو من منسوخ القرآن فلا يجوز التمسك به في مثل هذا الموقف . قلت لامراء في ان كثيرين من المفسرين ضاق صدرهم عن استيعاب الكثير من اسرار التنزيل . واذ خيل لهم ان الفصل مناقض للعدل ولم يجدوا سبيلاً للتوفيق بين الآيات الآمرة بالاعراض عن الجاهلين والتي تجيز دفع اذى المعتدين سوى الناسخ والمنسوخ فشغفوا بتكثيره وتشابه عليهم كثير من محكم الكتاب ننسبوه الى المنسوخية وهم مخطئون في مازعموا لان وجوب الصبر على الاخلاق السيئة وعدم مقابلة الاقوال الركيكة والافعال الخسيسة بامثالها لايستلزم الاعراض عن دفع الاذى بالوسائل العادلة[1] واذا كان ذلك ممكناً فالقول بالنسخ (بناء على هذا الاشتباه) لغو لافائدة فيه واليك زيادة بيان :

١ — جاء في سورة البقرة (٢: ١٩٠—١٩٥) « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لايحب المعتدين » « وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة » . « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله »

قال الزجاج : علّم الله تعالى بهذه الآية انه ليس للمسلمين ان ينتهكوا هذه الحرمات على سبيل الابتداء بل على سبيل القصاص « التفسير الكبير » ٢: ١٥٧ » وهذا صريح في انه انما اجاز القتال ملافاة للفتنة وهو مع ذلك لم يجز مقاصة المعتدي باكثر مما اعتدى ، وقد فضّل العفو على القصاص كما هو ظاهر قوله « واتقوا الله » ويزيده وضوحاً الآيات التالية :

« ١ » النبراس : ليس في هذه الآيات مجال للقول بالنسخ ولو وجد من قال بذلك فهو ممن لايعبأ بقوله

٢ً — النساء « ٤ : ٨٩ » « فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السَّلَمَ فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً »

٣ً — الانفال «٨ : ٦١» «وان جنحوا للسّلم فاجنحْ لها»

٤ً — التوبة «٩ : ٧» « فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين »

٥ً — النحل (١٦ : ١٢٦) وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين»

قال الرازي (٥ : ٣٧٦) هذا تصريح بان الاولى ترك ذلك الانتقام لان الرحمة افضل من القسوة والالغاء افضل من الايلام اه

٦ً — الحج (٢٢ : ٦٠) «ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بُغيَ عليه لينصرنّه الله ان الله لعفوٌّ غفور »

وهذا امر بوجوب إيكال قصاص الباغي الى الله وهو مشعر بافضلية العفو عن المجرم

٧ً — المائدة (٥ : ٢) «ولا يجرمنّكم شنآن قوم أن صدّوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا وتعاونوا عَلَى البر والتقوى ولا تعاونوا عَلَى الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب»

قال القفال «لا تحملنكم عداوتكم لقوم من اجل انهم صدّوكم عن المسجد الحرام عَلَى ان تعتدوا فتمنعوهم عن المسجد الحرام فان الباطل لا يجوز ان يعتدى به وليس للناس ان يعين بعضهم بعضاً عَلَى العدوان حتى اذا تعدّى واحد منهم عَلَى الآخر تعدّى ذلك الآخر عليه لكن الواجب ان يعين بعضهم بعضاً عَلَى ما فيه البر والتقوى اه (مفاتيح الغيب ٣ : ٣٦٤)

٨ — المائدة (٥ : ٨) « يا ايها الذين آمنوا كونوا قوّامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنّكم شنآنُ قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى »

قال الرازي في تفسيرها : المعنى لا يحملنكم بغض قوم عَلَى ان تجوروا عليهم وتجاوزوا الحد فيهم بل اعدلوا فيهم وان اساؤوا اليكم ، واحسنوا اليهم وان بالغوا في إيحاشكم اه

٩ً — في الشورى (٤٢ : ٣٦ — ٤٤) ذكر من صفات المؤمنين الطيبة انهم « اذا ما غضبوا هم يغفرون » و«اذا اصابهم البغي هم ينتصرون » ثم يقول « وجزاء سيئةٍ سيئةٌ مثلها فمن عفا واصلح فاجره على الله انه لا يحب الظالمين . ولَمَن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل انما السبيل عَلَى الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم . ولَمَن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور » اه

قال الرازي في تفسير قوله: « اذا اصابهم البغي هم ينتصرون » : هذه الآية مشكلة بوجهين:

الاول انه لما ذكر قبله، واذا ما غضبوا هم يغفرون » فكيف يليق ان يذكر معه ما يجري مجرى الضد له ٠٠٠ الثاني ان جميع الآيات دالة عَلَى ان العفو احسن ٠٠٠ وهي تناقض مدلول هذه الآية ٠ والجواب : ان العفو عَلَى قسمين احدهما ان يصير العفو سبباً لتسكين الفتنة ورجوع الجاني عن جنايته والثاني ان يصير العفو سبباً لمزيد جراءة الجاني ولقوة غيظه وغضبه ٠ والآيات في العفو محمولة عَلَى القسم الاول وهذه محمولة عَلَى القسم الثاني وحينئذ يزول التناقض ٠٠ وايضاً انه تعالى لم يرغب في الانتصار بل بين انه مشروع فقط ٠ ثم بين بعده ان شرعه مشروط برعاية المماثلة ٠ ثم بين ان العفو اولى بقوله : فمن عفا الخ اه (٧ : ٣٩٩)

١٠ آ — وفي الممتحنة (٦٠ : ١ و ٨ و ٩) بعد ان نهى المؤمنين اجمالياً عن اتخاذ اعداء الله اولياء فصّل المراد بهذا النهي بقوله « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبرُّوهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين ، انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولَّوهم ومن يتولَّهم فاولئك هم الظالمون

وهذا امر صريح بوجوب موالاة المسلمين لسواهم ممن لم يُخرجوهم في الدين

ختام

وليكن هذا ختام ما نقتبسه من الكتاب والتفسير للدلالة علي ان محاسنة السوى قولاً وفعلاً من جوهريات الدين الاسلامي ومن شذ عنها بقول او عمل فانما يشذ لفساد طاريء عليه لا لانه مسلم فان المسلم من سلم الناس من اذاه ٠ والمؤمن من أمن جاره بوائقه ٠ وهذا كافٍ لردع من يريد بالاسلام شراً

فاتقوا الله والضمير يا ايها المتحاملون عَلَى الدين واعلموا انكم بعدم تمييزكم بين الدين والمتدينين تسيئون الي كل مبدأ في العالم وبالطبع فانكم تنالون نصيباً مما اتيتم لانكم لستم بلا مبدأ ولو كان ذلك المبدأ عدم المبدئية واما انتم يا حملة الشعار الاسلامي الشريف ! فاحذروا الغفلة فيما تقولون وتعملون ٠ واعلموا انكم بذهولكم عن بوادر اللسان و بعثات الجنان تسيئون الى الاسلامية والوطن والامة ٠ اما اساءتكم الى الاسلامية فلأن الاقوال الجارحة والاعمال الخشنة من اكبر المنفرات عن الدين[1] ٠ والى الوطن لانكم تصورونه للاجنبي معهد بربرة وهمجية فتطعمونه فيه ٠ والى الامة لانكم تولدون في نفوس ابنائها الميل الى التقاطع وهذا يؤدي الى الضعف والتخاذل

(١) الى ذلك اشار الافغاني بقوله : يدعوهم القرآن الى الدين و ينهاهم عنه المسلمون ٠

فالبعد البعد عما يقود الى الانقسام · والبدار البدار الى الاتحاد والانضمام · فان مصلحة الوطن الذي أُريقت فيه دماء اجدادكم تدعوكم الى نبذ كل ما يولد في نفوس ابنائه وحشة ونفرة حبًّا بصيانته من اجنبي يعبث به ان تفرقتم · فأَجمعوا كلمتكم واتبعوا سبيلاً لا يستطيع ان يدرككم العدو فيه

عن احدى مدن سورية ع

التعليم الديني والعلمي

العلم علمان علم الدين وعلم الدنيا وكلاهما لازمان للانسان ليكون سعيداً في الدارين ، وقد حث الدين عليهما معا ، فمن طلب احدهما دون الآخر فقد قصَّر في الامر الذي تركه ، والناس اليوم عَلَى اقسام ثلاثة طالب علم الآخرة فقط وطالب علم الدنيا لاغير ورجل لا في العير ولا في النفير وهو شر الثلاثة

فمن طلب علم الآخرة وترك علم الدنيا زاعمًا ان طلبه محرَّم نهو غر جاهل لم يدرِ من حقيقة الدين شيئا وقد اضر بسمعة الدين وهؤلاء هم رهط كثير تحسبهم ايقاظًا وهم رقود وتخالهم احياء وهم اموات

ومن طلب علم الدنيا مجرداً عن الدين مدعيًا ان الدين عقبة في سبيل المدنية فيجب ان يطرح جانبًا ، فقد اخطأ المرمى وحاد عن السبيل القويمة ، لان الدين مصدر الاخلاق الفاضلة والآداب السامية ، وكل قوم تجردوا عن الدين فقد انسلخوا عن المدنية الحق وتجردوا عن الخلق الكريم ، وان ادعوا ان ما يتعلمونه كافٍ لتهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق فهي دعوى يكذبها العيان ، و يناقضها البرهان ، لان الابتعاد عن المنكرات وسافل الاخلاق لا تكون الا بسائق الدين الذى يحمل الانسان عَلَى الاعتقاد بان له يومـاً يدان فيه عَلَى اعماله ان خيراً فخير وان شراً فشر ، وكم قد رأينـا من هؤلاء المدعين قوماً قد انغمسوا في الشهوات وسبحوا في المنكرات ، حيث لا رقيب عليهم ولا مشاهد لاعمـالهم ، وكثير منهم يأتون ما يأْتون جهاراً غير مبالين بانتقاد ، ولا عائبين بالجماعات والافراد ، وان لاحت لهم

منفعة شخصية سعوا اليها سعيها ، وحثوا ركائب جدهم حتى يحصلوها ، ولو اضرت بمجموع الامة ، وان وجد بينهم من لا يميل الى ما يميلون ولا يفعل ما يفعلون فهم نفر قليل لم تزل تعاليم الدين مؤثرة في نفوسهم ، فهم مسوقون بسائق الدين دون ان يشعروا وماشون في سبيله وان لم يفقهوا

قد اخطأ هؤلاء الزاعمون ان الدين غير المدنية وانه حاجز دون ترقي الام ، ولو تفقهوا في الدين لعلموا انه المرشد للمرء الى مافيه سعادة الدارين . فالدين هو القائل عَلَى لسان انبيائه ورسله : « اعمل لدنياك كانك تعيش ابداً واعمل لآخرتك كانك تموت غداً » وهو القائل : « اطلب العلم ولو بالصين » وهو القائل : « وقل رب زدني علما » وهو القائل : « الناس عالم او متعلم ولا خير فيما بينهما » وهو القائل : « ليس مني الا عالم او متعلم »

والعلم لفظ عام يقع تحته كل ما يسمى علما عَلَى شرط ان يكون منه فائدة للانسان تنفعه فى دنياه او تعلي شأنه في آخرته ، وقد بحثنا في تاريخ علمائنا الماضين فرأينا ان كثيراً منهم كانوا جامعين بين علمي الآخرة والاولى ، وان من كان يدرس علم احداهما يجلس والى جانبه من يدرس علم الثانية ، ولم يكونوا ينكرون شيئاً من ذلك ، لانهم كانوا يعلمون ان المرء في حاجة الى العلمين كليهما ، وان الدين لايحول دون ذلك ، بل يحث عليه حثا ، لتكون الامة معززة الجانب منيعة الحمى حمية الانف ، مرهوبة السطوة . على ذلك درج العلماء السابقون وهذه آثارهم شاهدة عليهم ودالة عَلَى ما كان لديهم من التسامح ، وما كان عندهم من العقل الراجح ، ثم خلف من بعدهم خلف لم يدركوا شأوهم ، فظنوا ان الدين قاصر عَلَى مباحث معلومة وفصول مشهورة ، وانه لا يجوز لاحد ان يتعلم سواها بدعوى انها هي الدين كله ، الا ساء مايفترون

الامة فيما غبر لم ترقَ الا بالعلم والتمسك بحبال الدين الصحيح الخالي عن شوائب المتنطعين والمنقح من خرافات المتأخرين ، فان شاءت الامة اليوم ان تُرجع مجدها السالف فعليها باتباع سلفها الصالح ، وذلك بان تسعى الى النهوض من طريق الدين والعلم حتي تجاري الامم الراقية اليوم ، فالعلم يعليها ، والدين يهديها ، و يحفظ عليها اخلاقها ومباديها ، و يكون لها المنار الانور ، والطريق اللاحب ، والمنهج الاسد

نحن في حاجة الى العلم شديدة لنسير مع من سبقنا في سبيل واحدة ، كما اننا في حاجة اشد لصيانة الاخلاق وتسويرها بكمالات الدين حتى لا يدمر عليها دامر من خلق سافل او شهوة دنيئة ، فيستشري فيها الفساد ، وتهدمها معاول الحوائك النفسية

فلنجتهد بغرس اغراس الاخلاق الدينية مع العلم في نفوس الطالبين حتى يشبوا وقد اصابو من علي الدين والدنيا المرام

فالدين للعلم كالدعائم للقصر ، خصوصاً اذا ارتضعه الانسان منذ الصغر خالياً من كل شائبة نائياً عن كل بدعة ، فيخرج وقد امتلأ فؤاده حمية لوطنه وحباً لنفع الناس على اختلاف اجناسهم واديانهم ولغاتهم لأن من مبادىء الدين ان الناس كلهم اخوان في الانسانية وابناء اسرة واحدة كما ورد : « الخلق كلهم عيال الله واحبهم اليه انفعهم لعياله »

ان الدين يعلم الانسان ان يكون اخاً للانسان يتعاون واياه على شؤون الحياة ومـا فيه الخير العام ، و يربيه على حب الفضيلة وصنيعة المعروف والتجاوز عن الذنب الى غير ذلك مما يجعل الناس في عيش رغيد وحياة هنيئة

ولا يجوز ان ننظر الى اعمال بعض المنتسبين الى الدين اليوم ونتخذهم حجة على الدين فان الدين غير رجاله ، وما كل منتسب الى الدين متديناً ، بل الدين هو تلك الجوهرة النفيسة والروح الطاهرة والمبدأ السامي والمعنى الاقدس الذي ما تجلى على قلب ولا حل في فؤاد الا طهّره من جميع الكدورات ، ونقاه من كل العفونات

اجل ايها الناقمون على الدين لا تنظروا الى عمل رجاله وانظروا الى حقيقته وجوهره ، فليس فيه ما يخالف المدنية ولا ما يحول دونكم ودون ما تطلبون من التقدم ، بل كله آيات بينات ، وعلائم واضحات ، ترشدكم الى السعي والاجتهاد حتى تكونوا في اعلى درجة من التمدن والفلاح ، وليس من دليل ادل على ذلك الا ان تنظروا في علائمه وآياته ، وتتفهموا مضامين جمله وكلماته ، فان فيهما ما يدمغ كل منكر بما يورده من الكلام الحاث على السعي لتكون الامة في اوج العلى وذروة الترقي

فان شئتم الفلاح فاهتدوا بهديه واعتصموا بعروته ، وتمسكوا باوامره ونواهيه ، واعملوا بما تضمنه تكونوا من الناجحين

وسلام على من يقول الحق و يذعن اليه ، و يعمل لتكون امته خير الامم ترقياً ومجداً وعظمة وشرفاً ، فان ذلك هو الرجل كل الرجل ، وعليه يتوقف مستقبل الامة وتبنى دعامة فخرها

فهبوا الى السباق ايها الشبان ! واجعلوا العلم الهدف الذي اليه ترمون ، والغاية التي اليها تستبقون وليكن الدين مناركم الذي به ترشدون ، ونجمكم الذي به تهتدون ، لتنالوا ما ترجون ، وتحظوا بما تبتغون ، وانا لنتائج اعمالهم منتظرون ، فهل انتم لرجائنا محققون ؟؟؟